وظائف الصوت اللّغوي في النّص القرآني الكريم

The functions of linguistic voice in the holy Quranic text

الدكتورة حميدة علوش

جامعة البليدة–2– الجزائر allouche.hamida16@gmail.com

تاريخ الارسال2021/01/06	تاريخ القبول31 / 03 / 2021.	تاريخ النشر 15 / 04 / 2021.

الملخص

اللّغة بنية مشكّلة من كم معيّن من العناصر التي ينفرد كلّ عنصر فيها بوظيفة محدّدة تميّزه عن العناصر الأخرى.والأصوات اللّغوية هي أصغر وحدات اللّغة، والمادة الخام للكلام الإنساني هي عناصر وظيفية وإن كانت غير دالة بذاتها . ويعدّ النّص القرآني مجالا خصبا لأنواع الوظائف التي يمكن أن تؤديها العناصر الصوتية اللّغوية .

يهدف هذا البحث إلى تبيان وظائف الصوت اللّغوي في النّص القرآني الكريم باختلاف أنواعها (لغوية، غير لغوية)، وتمايز وظائفها(دلالية، تصويرية...). وقد انتهى البحث في هذا الموضوع إلى مجموعة من النتائج التي تؤكد القيمة التعبيرية الموحية للصوت اللّغوي، ودوره الوظيفي الفعّال في بناء المعنى وتحقيق توازن النّص القرآني وجماليته.

Abstract

Language is a structure made up of certain amount of elements that each component is unique by a specific function that distinguish it from other elements. and the linguistic sounds which is the smallest units of the raw material from human speech are functional and the Quranic text is fertile field for the types of function that it can do linguistic phonemic elements. This research aims to contrast the functions of linguistic voice in the holy Quranic text differently in its kinds(linguistic, non linguistic) and differentiation of its functions (semantic, imaginative…). And the research on this topic has ended to a set of results that emphasizes the expressive value suggestive of linguistic voice and its effective functional role in the structure of meaning and to realize the balance and aesthetic of the Quranic text.

المنارة للاستشارات

كلمات مفتاحية: الوظيفة؛ الصوت اللّغوي؛ القرآن الكريم.	**Keywords** : the function; linguistic voice; the holy Quran.

المؤلف المرسل: حميدة علوش **الإيميل**: allouche.hamida16@gmail.com

1.مقدمة:

يرى أكثر الدارسين أنّ الأصوات اللّغوية هي عناصر وظيفية وإن كانت غير دالة بذاتها، وبإمكانها االقيام بأكثر من وظيفة على مستوى التراكيب اللّغوية . ولعلّ أفضل مدوّنة تتجلّى فيها وظائف الصوت اللّغوي بتنوعها وتمايزها هي القرّآن الكريم. وعليه انعقدت إشكالية موضوع البحث المتمثلة في:

- ما وظائف الصوت اللّغوي في النّص القرآني الكريم؟

انبنت الإجابة على هذا السؤال –موضوع البحث– على الفرضيات التالية:

- للصوت اللّغوي قيمة تعبيرية موحية.
- تتنوّع وظائف الصوت اللّغوي بين اللّغوية وغير اللّغوية.

تسعى هذه الدراسة بمنهج وصفي تحليلي إلى البحث في وظائف العناصر الصوتية اللّغوية على تمايزها في النّص القرآني الكريم، بهدف تبيان قيمة الصوت اللّغوي كأصغر عنصر وظيفي فعّال في بنية اللّغة.

2. الوظائف اللّغوية وعلاقتها بالمعنى

1.2 تعريف مصطلح" الوظيفة":

يتّخذ مصطلح " الوظيفة" في اللّسانيات الحديثة مفهوما جديدا لم تعرفه العرب في استعمالاتها كاصطلاح يعبّر عن الدور الذي يؤديه العنصر اللّغوي داخل بنية ما. يقول عبد الجليل مرتاض في تعريف مصطلح "الوظيفة": "يطلق هذا المصطلح الأكثر شيوعا في اللّسانيات الحديثة على الدور الذي تضطلع به وحدة (صوتم، مورفيم، كلمة، تركيب...) في البنية النحوية للملفوظ، بحيث كلّ جزء في بنية جملة يعتبر مشاركا في المعنى العام للجملة."[1] وبعبارة أحمد عزوز " يطلق (مصطلح الوظيفة) على الدور التعبيري الذي

المنارة للاستشارات
ww

يقوم به العنصر اللّغوي في البنية النحوية سواء أكان فونيما أم مورفيما فيها أم كلمة أم جملة، فهو كلّ عنصر لغوي يُسهم في صنع المعنى، وبناء الدلالة".[2]

وتجدر الإشارة إلى أنّ مصطلح الوظيفة يتعلّق بمفهومين: الوظيفة كعلاقة، والوظيفة كدور. وهما "مفهومان متباينان ...حيث إنّ العلاقة رابط بنيوي قائم بين مكونات الجملة أو مكونات المركب. في حين أنّ الدور يخص اللّغة بوصفها نسقا كاملا.إلّا أنّ التباين الواضح بين المفهومين لا يلغي ترابطهما." [3]

2.2 العلاقة بين المعنى والوظائف اللّغوية

يذكر تمام حسان في كتابه " اللّغة العربية معناها ومبناها" تعريفا للمعنى مفصّلا الحديث فيه عن الفروق الدقيقة بين هذه المتشابهات(المعنى الوظيفي والمعنى المعجمي والمعنى الدلالي) يقول:" إنّ المعنى على مستوى النّظام الصوتي والنّظام الصرفي والنظام النحوي هو معنى وظيفي، أي إنّ ما يسمّى المعنى على هذا المستوى هو في الواقع وظيفة المبنى التحليلي، ثم يأتي معنى الكلمة المفردة" المعنى المعجمي ". وما يكون بمجموع هذين المعنيين مضافا إليهما القرينة الاجتماعية الكبرى...كلّ ذلك يصنع المعنى الدلالي" [4].

فالمعنى الذي يروم المتكلم تكوينه والسامع تحصيله لا يتحقق في الأخير إلّا باجتماع الوظائف اللّغوية التي يوفرها كلّ مستوى وتعالقها، ولذلك فإنّ المعنى بعبارة فيرث هو " كلّ مركب من مجموعة من الوظائف اللّغوية. وأهمّ عناصر هذا الكلّ هو الوظيفة الصوتية، ثم الوظيفة المورفولوجية، والنحوية، والقاموسية، والوظيفة الدلالية لـ"سياق الحال"، ولكلّ وظيفة من هذه الوظائف منهجه الذي يراعى عند دراستها."[5]

3 الوظائف اللّغوية للصوت اللّغوي في القرآن الكريم.

1.3 الوظيفة الدلالية:

تختص بعض العناصر الصوتية– على اختلافها مقطعية وفوق مقطعية – بتحديد المعاني وتمييزها، إذ يسمح أيّ تغيير يحدث على مستواها(إبدال، حذف ...) بتغيّر المعنى من ذلك نذكر:

– وظيفة الحركة:

المنارة للاستشارات

ممّا انفردت به العربية عن سائر اللّغات أنّ المعاني فيها قد تؤدّى بغير الألفاظ، تميّزا عمّا تجده في غيرها من اللّغات التي لابدّ لكلّ معنى فيها من ألفاظ تخصّه بالدلالة. يقول ابن خلدون في ذلك: "وكانت الملكة الحاصلة للعرب من ذلك أحسن الملكات وأوضحها إبانة عن المقاصد لدلالة غير الكلمات فيها على كثير من المعاني، مثل الحركات التي تعين الفاعل من المفعول من المجرور أعني المضاف، ومثل الحروف التي تفضي بالأفعال أنّ الحركات من غير تكلّف ألفاظ أخرى، وليس يوجد ذلك إلّا في لغة العرب".[6]

وللحركة في العربية أكثر من وظيفة (صوتية، إعرابية، وظيفية [7] ، دلالية، معجمية)، وقد تتحقق هذه الوظائف مجتمعة في النّص القرآني المحكم، ففيه العديد من الأمثلة التي تبيّن الوظائف التي تحققها الحركات من ذلك:"الكَرْهُ" ، و" الكُـرْهُ " وهما مصدران للفعل الثلاثي كَرُهَ وكَرِهَ وهما كلمتان متقاربتان شكلا ومضمونا. وتعين الحركات في هذا المثال على التمييز بين معنيين مختلفين لمن يتوهّم ترادفهما يكشف عنها الاستعمال القرآني. فقد وردت كلمة " الكُرْهُ " بضم الكاف ثلاث مرات في القرآن الكريم مرة في البقرة [البقرة: 216]، ومرتين في الأحقاف، قوله تعالى: {ووصَّيْنَا الإنسانَ بِوالدَيه إحسَانا حَمَلَته أُمُّه كُرْهًا ووَضَعته كُرْها وحَمْله وفصالُه ثلاثون شهرا }. [8]وقد استعمل القرآن هذه الكلمة " في بيان المعاناة النفسية والجسدية معا" [(9)]،ولكنّها للحامل مشقة مطلوبة مرغوبة . فقد استعملت هذه الكلمة "وصفا على الأمر الذي فيه مشقة وصعوبة، فيه ألم ومعاناة، لكنّه مطلوب من قبل صاحبه ومرغوب عنده، أي: إنّ صعوبته مقرونة بالإرادة والرغبة، بل باللّذة والشوق." [10] وهو ذات ما كان قد أكّده الراغب في" المفردات" يقول: "والكُرْهُ: ما يناله من ذاته وهو يعافه، وذلك على ضربين: أحدهما: ما يُعاف من حيث الطبع.

والثاني: ما يُعاف من حيث العقل أو الشرع. ولهذا يصح أن يقول الإنسان في الشيء الواحد: إنّي أريده وأكرهه، بمعنى أنّي أريده من حيث الطّبع، وأكرهه من حيث العقل أو الشرع، أو أريده من حيث العقل أو الشرع، وأكره من حيث الطّبع."[11]

فقد جمعت هذه الكلمة" الكُرْهُ " دلالتين غير متوافقتين: المعاناة الجسدية والنفسية أو المشقة مع الرغبة. أمّا" الكَرْهُ " بفتح الكاف فيدل على " المشقة التي تنال الإنسان من خارج فيما يُحمَل عليه بإكراه." [12] وقد جاء ذكرها في خمس آيات من القرآن الكريم[13]. من ذلك ما ورد في آية من آل عمران قوله تعالى:

المنارة للاستشارات
ww

{وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ }[14]." فقد" استعملها القرآن في بيان المشقة والمعاناة النّفسية فقط، والدليل على ذلك مقابلة "الكَره" بـ"الطوع" في قوله تعالى"طوعا وكَرها".وبمعنى الإكراه والإجبار والقسر، وذلك لأنّ الأمر والتكليف جاء من الخارج".[15]

وعليه فقد أعانت الحركات على التمييز بين معنيين متقاربين بشكلين متشابهين كذلك. وأدّت وظيفة دلالية أغنت المعجم بمعنيين متمايزين.كما تجدر الإشارة في هذا المقام إلى نكتة لغوية تتعلّق بالتناسب الدلالي الصوتي ومناسبة الحركات للمعاني التي توحي بها فـ"مضاعفة المعنى في المضموم تناسب "الضم"، وخفته في المفتوح تناسب "الفتح"، لأنّ الفتح أخفّ من الضّم".[16]

ونظائر ما ذكرنا في القرآن الكريم كثيرة من ذلك: [الميِّت – الميْت]/[الذَّنُوب– الذُّنوب]...

– وظيـــفـــة الحـــرف:

تحدّث مارتني في كتابه"مبادئ في اللّسانيات"عن وظائف العناصر الصوتية " فوظيفتها تمييزية أو تقابلية عندما تساهم في تعريف عنصر في نقطة ما من مدرج الكلام بالمقابل إلى كلّ العناصر الأخرى التي كان بالإمكان أن تكون في نفس تلك النقطة لو كان الخطاب مختلفا... وظائف تباينية عندما تساهم في تيسير تحليل القول إلى وحدات متتالية بالنّظر للسامع... الوظيفة التعبيرية التي ترشد السامع إلى الحالة النّفسية للمتكلّم".[17]إلى جانب وظائف أخرى كالوظيفة الدلالية مثلا حيث تعين على التمييز بين المعاني. فكذلك في "رجس" و"رجز"، وفي" اسطاعوا، واستطاعوا " من قوله تعالى: {فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا}.[18] فزيادة حرف التاء في "استطاعوا" تعني زيادة في المعنى مشيرة إلى معنى المشقة والثقل الذي يستدعيه أمر نقب جدار السّد. فهذه الأثقال المادية والنّفسية، والزمانية، والمكانية التي تقرّرها الجملة جاء الفعل " استطاعوا " مساهما فيها مشاركا بتثقيل إيقاعه وتركيبه عن طريق حروفه. ولذلك جاءت "التاء" في الفعل " استطاعوا " للتثقيل، والله أعلم" .[19]

وبذلك فقد اجتمعت أكثر من وظيفة حققها حرف التاء: دلالية، وإيقاعية، ونفسية.

أمّا حذف "تاء الخفة" فكان متّفقا مع المعنى الذي يوفّره سياق النّص الذي يستدعي خفة لتسلّق السّد والظهور عليه." فعبّر القرآن عن عجزهم عن تسلّق الجدار والظهور فوقه لقوله:{فمَا اسطَاعُوا أن يَظهَرُوه}

المنارة للاستشارات

بحذف التاء من الفعل. بينما عبّر عن عجزهم عن نقيضه بقوله{ وما استَطَاعُوا لَه نَقْبًا} بإثبات "التاء" في الفعل".[20]فكان الحذف والإثبات متوافقا مع طبيعة العمل بالمقابل.

وكلّ ما سبق الحديث عنه يلخّصه مُحَمَّد الطاهر بن عاشور في قوله:" واسْطاعوا تخفيف اسْتطاعوا، والجمع بينهما تفنُّن في فصاحة الكلام كراهية إعادة الكلمة. وابتُدِئ بالأخفّ منهما لأنّه وَلِيَه الهمز، وهو حرف ثقيل لكونه من الحلق، بخلاف الثاني إذ وليه اللّام وهو خفيف.

ومقتضى الظاهر أن يُبتَدأ بفعل استطاعوا ويثنّى بفعل اسطاعوا لأنّه يَثقُل بالتّكرير، كما وقع في قوله آنفا {سَأُنَبِّئُكَ بِتَأويلِ مَا لم تستطِع عليه صبْرا}[21] ، ثم قوله:{ ذلك تَأْويلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عليه صَبْرا} .[22]

ومن خصائص مخالفة مُقتضى الظّاهر هنا إيثار فعل ذي زيادة في المبنى بموقع فيه زيادة في المعنى، لأنّ استطاعة نقب السّدّ أقوى من استطاعة تسلّقه، فهذا من مواضع دلالة زيادة المبنى على زيادة المعنى"[23] وهي من بعد مجمل الوظائف (الفنية والدلالية والنّفسية) التي تحققها زيادة حرف في بنية الكلمة.

– وظيفة العناصر غير المقطعية (التنغيم):

وتتضمّن النبر والتنغيم، فأمّا "التنغيم" فـ"قد تنبّه علماء اللّغة والنّحو على هذه الظاهرة منذ وقت مبكر وكانوا على وعي بأهميّة التنغيم وأثره في معاني الكلام ، وتوجيه دلالة الوحدات اللّغوية في السياق بوصفه إشارات تخدم دلالة النّص اللّغوي في التفريق بين المعاني المختلفة للجملة الواحدة، والانتقال الأسلوبي بين الأبواب النّحوية".[24] كما كان جمهور المفسرين على وعي بأثر التنغيم في تحديد مسارات الدلالة اللّغوية والأنماط التركيبية في اللّغة العربية عموما، ولغة القرآن الكريم خصوصا، حيث يعدّ وسيلة للتفريق بين الأساليب اللّغوية، وتنوّع دلالاتها من ذلك خروج أسلوب الاستفهام في مثل قوله تعالى {مَالَكُم لا تَنَاصَرُونَ}[25] إلى دلالة التوبيخ والتقريع والتهكم، وأنّ والمراد " أي لا ينصر بعضكم بعضا كما كنتم تزعمون في الدنيا، وأنّ تأخير هذا السؤال إلى ذلك الوقت لأنّه وقت تنجّز العذاب وشدّة الحاجة إلى النّصرة، وحالة انقطاع الرجاء عنها بالكليّة، فالتوبيخ والتقريع حينئذ أشدّ وقعا وتأثيرا"[26]. كما "ساعد على هذا التعدّد في المعاني المصاحبة لأسلوب الاستفهام نوع النّغمة في نطق الآية، فهي صاعدة أوعالية في التقريع والتوبيخ، وذلك لتقاربهما في المعنى، على حين هي نغمة هابطة في التّهكم."[27]:

المنارة للاستشارات
ww

2.3 الوظيفة الإيقاعية :

تتدخّل العناصر اللّغوية في نصوص القرآن الكريم —على وجه التخصيص– بكيفيات متمايزة من حيث انتظامها وصيغها ومقاديرها لتحسين هيآت العبارات وتكوين إيقاعها وحفظ توازنها الصوتي. من ذلك الاعتماد على **وزن** محدّد تتطابق مواده أو تتقارب، كالذي تجده في آي سورة الصافات المعروفة بقصر آياتها التي يتقارب فيها عدد السكنات والحركات، مع تشابه في أوزان فواصلها وتماثل (تقريبي) في روّيها، يجتمع كلّ هذا لإحداث توازن صوتي بإيقاع خاص يساهم في بناء نصّها وتصميمه الذي تلحظ فيه سرعة الحركة واختصار الزمن والأحداث.

وأحيانا يعمد إلى **ترديد القالب الصوتي** الذي تتطابق حركاته وسكناته وطوله لإحداث إيقاع موسيقي رتيب بتشكيلات إيقاعية متماثلة ومتقابلة، كقوله تعالى:{ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا }[28].

هذه القوالب المتشابهة صوتيا المتباينة دلاليا تتناسب وأسلوب الوصف وتقرير الحقائق.

كما تشارك بعض **الظواهر الصوتية** في تحقيق إيقاع يتناسب وأغراض النّص وذلك باعتماد أنواع خاصة من المحسنات البديعية (كالتجنيس ولزوم ما لا يلزم).

وتمثّل **فواصل** القرآن الكريم أهّم عامل من عوامل تشكّل الإيقاع وتكوّن الدلالة. فـ" الفائدة في الفواصل دلالتها على المقاطع، وتحسينها الكلام بالتشاكل وإبداؤها في الآي بالنظائر"[29]. و جمالها يتوزّع بين مناسبتها لما قبلها، وإضاءتها للنّص بمعنى جديد.[30]

أمّا **روي** فواصل القرآن الكريم فهو آية أخرى من آيات إعجازه ، فبالإضافة إلى وظيفته الصوتية يؤدي وظيفة دلالية تخفى على الكثير من المهتمين بدراسة كتاب الله تعالى، فقد بيّنت الدراسة في هذا الموضوع أنّ أيّ خروج عن الروي المعتمد في فواصل آي نص من القرآن الكريم هو بمثابة شفرة دلالية[31]. فحرف "الميم" مثلا يكتسب خصوصيته كروي في نصوص قصص القرآن الكريم من طبيعة الكلمات الوارد في مؤخرتها كإشارات منبّهة ومؤكّدة على أمور معيّنة منها[32]: أسماء الله الحسنى(رحيم، حكيم، عليم...)، أو صفات العذاب(أليم، عظيم، عقيم...)، أوباسم النبيّ "إبراهيم" عليه السلام، أو بفكرة تمّ التركيز عليها في

المنارة للاستشارات

موضوع نص قصة معيّنة(كمسألة التطفيف في المكيال والميزان التي أثيرت في قصة شعيب عليه السلام، وجاء الأمر من الله تعالى بترك ذلك، وبضرورة إيفاء الكيل والوزن بالقسطاس "المستقيم"[33].

3.3 الوظيفة التصويرية:

من أجمل وأبدع وسائل القرآن في التعبير "التصوير"، والقرآن معجز في تصويره للمعنى " فيحيلك من قارئ أو مستمع إلى مشاهد يتابع أحداث المنظر وتجدّد الحركات، وفيض الانفعالات الدافقة والوجدانات المتجاوبة مع الحوادث الجارية...فتتبدّى لك صورة حية بارعة خلّابة ، تهيمن على مشاعرك وأحاسيسك حتى تجعلك أمام قبس من الحياة الحقيقية..."[34]

إنّ وسائل التصوير في القرآن "هي كلّ وسيلة من وسائل التعبير تثير المخيّلة وتستدعي الصورة إلى الفكر، وتسيّر الحركة، وتلمس مشاعر الوجدان، فالحروف في القرآن تصوّر، والكلمة تصوّر، والجملة، وفنون البلاغة كذلك تصوّر، وهناك من وراء ذلك أدوات وأدوات، فهناك تصوير باللّون وتصوير بالحركة وتصوير بالإيقاع..."[35] ،" و"كثيرا ما يشترك الوصف، والحوار، وجرس الكلمات، ونغم العبارات، وموسيقى السياق، في إبراز صورة من الصور، تتملاها العين والأذن، والحسّ والخيال، والفكر والوجدان".[36]

فمن التصوير **بالصوت** ما جاء في أوائل سورة الحاقة التي " تتكرّر فيها كلمة" الحاقة" وهي الكلمة الجديدة التي تعبّر عن يوم القيامة والحساب، وتتكرّر فيها هذه القاف المشدّدة التي تقرع السمع قرعا، والمسبوقة بالمدّ الطويل الممهّد لها، والمبرز لشدّتها، والمختومة بالهاء التي تنطفئ عندها شدّتها."[37]

وقد اجتهد سيّد قطب في البحث في هذا النّوع من **الألفاظ** التي تختص بطبيعة أصواتها برسم صور الموضوع على اختلافها، وقد ذكر عدّة أنواع عن تصوير الألفاظ بجرسها فذكر منها كلمة "يصطرخون" في الآية:{ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ (36) وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ (37)}.[38]

المنارة للاستشارات
ww

تسمعها" فيخيّل إليك جرسها الغليظ، غلظ الصراخ المختلط المتجاوب من كلّ مكان، المنبعث من حناجر مكتظّة بالأصوات الخشنة، كما تلقي إليك ظلّ الإهمال لهذا الاصطراخ الذي لا يجد من يهتم به أويليه. وتلمح من وراء ذلك كلّه صورة ذلك العذاب الغليظ الذي هم فيه يصطرخون. وحين يستقل لفظ واحد بهذه الصور كلّها يكون ذلك فنّا من التّناسق الرفيع"[39] بين عناصره الصوتية وجرسها والموضوع.

إنّ "جوهر تأليف القرآن الصوتي فيكمن في نظم حروفه ورصفها وترتيب أوضاعها...ترى الجمال اللّغوي ماثلا أمامك في هذا التناغم الموسيقي المعجز، الذي جعل منه القرآن قالبا لما حواه من معاني الرسالة وحكمها وأحكامها، وعقائدها وقواعدها، ومواعظها وزواجرها، وما امتاز به أسلوبها في عرض هذه المعاني من سائر الخصائص المعجزة".[40]

4.3 الوظيفة الخطية:

عني العلماء بالكلام على رسم القرآن وحصر تلك الكلمات التي جاء خطها على غير مقياس لفظها. وقد أفرده بعضهم بالتأليف منهم ابن البناء (ت 721هـ) صاحب كتاب"الدليل في مرسوم خط التنزيل" بحث فيه عن وجوه الحكمة من اختلاف رسم الكلمات في المصحف. و"بيّن أنّ هذه الأحرف إنّما اختلف حالها في الخط بحسب اختلاف أحوال معاني كلماتها ومنها التنبيه على العوالم الغائب والشاهد ومراتب الوجود والمقامات."[41] وممّا ورد في باب "مدّ التاءات وقبضها عن الاسم المفرد المضاف الذي فيه علامة التأنيث" أنّ هذه الأسماء لما كانت يلازمها الفعل صارت تعتبر اعتبارين:

– أحدهما من حيث هي أسماء وصفات. فهذا تقبض فيه التاء.

– والثاني من حيث يكون مقتضاها فعلا وأثرا ظاهرا في الوجود. فهذا تمدّ فيه التاء، كما تمد في: قالت: وحقت. وجهة الفعل والأثر ملكية ظاهرة، وجهة الاسم والصفة ملكوتية باطنة.

فمن ذلك: (الرَحمَة) مُدّت في سبعة مواضع للعلّة التي ذكرت. يدلّ عليه ما جاء في أحدها: (إنّ رَحمَتَ اللهِ قَريبٌ مِنَ المحسِنينَ) [42].فوصفها على التذكير فهو الفعل."[43]

ومن ذلك" (إبنَت عِمران) مدت " التاء " تنبيها على معنى الولادة والحدوث من النطفة المهينة."[44]

المنارة للاستشارات

تبيّن مثل هذه الأمثلة أنّ رسم القرآن الكريم له دلالات خاصة، فهو بمثابة شفرة دلالية، يمكن من خلاله الخروج ببعض القواعد الخطية .

5.3 الوظيفة التمييزية الأدائية:

يتعلّق الأمر بحروف من القراءة المختلفة الألفاظ المحتملة الوجوه على اختلاف اللّغات التي أذن الله عز وجل لنبيّه عليه السلام ولأُمّته في القراءة بها واللّزوم على ما شاءت منها تيسيرا لها وتوسعة عليها.إذ تمكّن بعض العناصر الصوتية من التمييز بين مختلف لغات العرب، فوظيفتها تمييزية.

كما تعين الحركات غير الإعرابية في بعض المواضع على التمييز بين مختلف الأداءات الصوتية العربية. من ذلك"نَستعين"و"نِستعين" بفتح النون وكسرها يقول الفراء(ت 207هـ):"وفي {نَسْتَعِينُ}[45] لغتان: فأمّا قريش وكنانة فينصبون النون، وعليها القراءة.وعامّة العرب من تميم وأسد وقيس وربيعة يقولون: نِستعين وتِستعين."[46]ومثل هذا كثير باختلاف نوع العنصر الصوتي التمييزي.

ويجتهد بعض الدارسين في ربط مثل هذه الاختلافات الصوتية باختلافات دلالية تناسبها من ذلك ضمّ الهاء من (عليه) في قوله تعالى: {وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا}[47] مع أنّ المشهور في نحو هذا كسر الهاء .وأمّا ضمّها فهي لغة لأهل الحجاز، فأمّا غيرهم فيكسرها[48]. وسرّ نحو هذا التعبير- فيما يراه فاضل صالح السامرائي- وظيفة أخرى دلالية يقول:"...فجاء بالضمّة التي هي أثقل الحركات للدلالة على هذا العهد وعظمه."[49].

4 الوظائف غير اللّغوية للصوت اللّغوي في القرآن الكريم

1.4 الوظيفة الإعجازية:

القرآن الكريم" كتاب هداية وإعجاز من أجل هذين المطمحين نزل، وفيهما تحدّث، وعليهما دلّ."[50] وتعدّ حروف التهجي المعروفة في لغة العرب آية من آيات الإعجاز والتّحدي. وقد افتتح الله عزّ وجلّ تسع وعشرين سورة بأحرف التهجي. وقد بحثها العلماء من وجوه مختلفة ومعاني متعدّدة. ومن أقوال المفسّرين فيها:" أنّه قسم أقسم الله تعالى به, وهو من أسمائه, وبه قال ابن عباس وعكرمة. و قيل أنّه حروف مقطعة

المنارة للاستشارات
ww

من أسماء وأفعال, فالألف من أنا واللام من الله , والميم من أعلم, فكان معنى ذلك: أنا الله أعلم, وهذا قول ابن مسعود وسعيد بن جبير, ونحوه عن ابن عباس أيضا...وقيل أنّه حروف هجاء أَعلم الله تعالى بها العَرَب حين تحداهم بالقرآن, أنّه مُؤلَف من حروف كلام, هي هذه التي منها بناء كلامهم ليكون عجزهم عنه أبلغ في الحجة عليهم , إذ لم يخرج عن كلامهم"[51].

ومن وجوه الإعجاز اللّغوي ما يسمّى بالتوازن العددي الحرفي والمقصود " بالتوازن الحرفي" هو ذلك الإعجاز القرآني الذي يبدو لنا في مجال حروف القرآن الكريم من حيث عددها وتكرارها وترابطها مع غيرها." وقد حاول الباحثون في هذا الموضوع ربط المعادلة الصوتية بالبناء الصوتي (المحكم) للسورة الهدف ودلالاته. فقد انتهى مصطفى الدباغ إلى أنّ الأحرف التي تبدأ بها بعض سور القرآن الكريم –وهي نصف الحروف الهجائية– إذا ما أحصيت في سورة تفوّقت في عددها على مجموع سائر الحروف الأخرى في السورة نفسها.[52] فحرف القاف(ق)–على سبيل المثال– وهو واحد من فواتح السور يتوزع بنفس التواتر (57) في سورتين من القرآن الكريم (سورة ق، وسورة الشورى) تبدآن به . وبالمقابل فإنّ مجموع تواتره في السورتين (57+57=114) هو عدد سور القرآن الكريم.[53]

كما توسع الدباغ في البحث في الحروف الأخرى أيّما توسع. وقد تأكّد له من خلال الصورة البنائية العددية مدى الانسجام المحكم للقرآن الكريم في إطار من التوازن العددي الدقيق في حروفه وموضوعاته.[54]

2.4 الوظـــيفة التأثيرية النّفسية:

لقد" أثبت العلم الحديث أنّ الصوت صورة من صور الطاقة وينتقل على شكل موجات، وعند وصول الصوت إلى الأذن، تبدأ إرهاصات الإدراك السمعي، والتي تنتهي بالفهم والتّخيّل، والرغبة والرهبة، والحبّ والبغض، وكافة المشاعر الإنسانية التي ترتبط بالمؤثر الصوتي، سواء كان له معنى في ذاته، أو أثار في نفسك قصصا وذكريات، وتنشأ عن ذلك الفكرة والنّية والعزيمة، والإرادة والفعل، وذلك وفقا لما يمكن أن يحمله الصوت المسموع من معان ومفاهيم ونغم وهدير، ممّا يكون له تأثيره على النّفس والجسد".[55]

وقد نبّه الخطابي(ت388هـ) في رسالته لهذه الوظيفة التعبيرية النّفسية التي تعبّر عن وجه من وجوه الإعجاز القرآني، فقد جاء على لسانه:" قلت في إعجاز القرآن وجها آخر ذهب عنه النّاس فلا يكاد يعرفه إلّا

المنارة للاستشارات

الشاذ من آحادهم، وذلك صنيعه بالقلوب، وتأثيره في النّفوس...تستبشر به النّفوس وتنشرح له الصدور...فكم من عدوّ للرسول صلّى الله عليه وسلّم من رجال العرب وفتّاكها أقبلوا يريدون اغتياله وقتله فسمعوا آيات من القرآن، فلم يلبثوا حين وقعت في مسامعهم أن يتحوّلوا عن رأيهم الأوّل، وأن يركنوا إلى مسالمته، ويدخلوا في دينه، وصارت عداوتهم موالاة، وكفرهم إيمانا".[56]

من ذلك ما روي عن إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي لم يلبث أن آمن بعدما وقع في سمعه قراءة أخته لسورة طه. وإسلام عتبة بن ربيعة بعدما سمع آيات من حم السجدة قرأها عليه رسول الله عليه السلام...وقد روي عن بعضهم أنّه قال: فتحت الأمصار بالسيوف، وفتحت المدينة بالقرآن.[57]

ومصداق ما قيل في وصف القرآن ووظيفته التأثيرية في قوله تعالى: { اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ}.[58]

3.4 الوظيفة الاستشفائية:

أثبتت الأبحاث القرآنية العلمية وظيفة القرآن الكريم في تهدئة الأعصاب. فقد أجريت العديد من التجارب في فلوريدا على عدد من المتطوعين المسلمين وغير المسلمين، فحوى هذه التجارب هو تلاوة مقاطع من القرآن الكريم باللّغة العربية عليهم وتتبّع أثر استماع القرآن الكريم عليهم باستخدام أجهزة المراقبة الإلكترونية المزوّدة بالكمبيوتر لقياس التّغيرات الفزيولوجية. وقد أظهرت هذه النتائج أنّ للقرآن الكريم أثرا إيجابيا مؤكدة تهدئته التوتر. وقد "ظهر هذا الأثر على شكل تغيّرات في التيار الكهربائي في العضلات، وتغيرات في قابلية الجلد للتوصيل الكهربائي، وتغيّرات في الدورة الدموية، وما يصحب ذلك من تغيّر في عدد ضربات القلب، وكمية الدّم الجاري في الجلد، ودرجة حرارة الجلد... وكلّ هذه التّغيرات تدلّ على تغيّر في وظائف الجهاز العصبي والذي يؤثر بدوره على أعضاء الجسم الأخرى ووظائفها".[59]

ومن المحتمل أن يؤدي بالضرورة إلى تنشيط وظائف المناعة في الجسم، وتزيد من قابلية الجسم لمقاومة المرض.

المنارة للاستشارات
ww

وقد أكّدت هذه التجارب" أنّ كلمات القرآن بذاتها، وبغضّ النّظر عن مفهوم معناها لها أثر فزيولوجي مهدئ للأعصاب في الجسم البشري، فإذا اقترن سماع القرآن الكريم بفهم معناه كان غير محدود الأثر".[60]

كلّ هذا يثبت الوظائف النّفسية الاستشفائية التي يحققها القرآن الكريم مصداقا لقوله تعالى: {ونُنَزِّل من القرآن ما هو شِفَاء ورحمَة للمؤمنين، ولا يزيد الظالمين إلّا خسارا} [61]، وقوله تعالى: " ألا بِذِكْرِ الله تَطْمَئِنّ القُلُوب"[62]، وهي خاصية ووظيفة يمتاز بها النّص القرآني الكريم. وقد ذكر ابن القيّم[63](ت751هـ)رحمه الله أنّ للذِكر أكثر من مائة فائدة ، سرد منها ثلاثا وسبعين فائدة مستنبطة من نصوص القرآن والسنّة تختلف وظائفها بين روحية ونفسية وتربوية وأخلاقية.

الخاتمة :

انتهى البحث في هذا الموضوع إلى أكثر من نتيجة نلخصها في النّقاط التالية:

- ما يميّز العربية لغة القرآن الكريم أنّ لكلّ عنصر فيها وظيفة تميّزه عن باقي العناصر اللّغوية الأخرى.
- تتنوّع وظائف الصوت اللّغوي في القرآن الكريم بين الوظائف اللّغوية وغير اللّغوية.
- الصوت صورة من صور الطاقة التي يظهر مفعولها التأثيري على النّفس والجسد .
- الصوت اللّغوي في النّص القرآني الكريم شفرة لغوية دالة.
- الصوت اللّغوي في بنية النّص القرآني الكريم آية من آيات الإعجاز والتّحدي.

الهوامش:

[1] مرتاض، عبد الجليل،(2017م)، القاموس الوجيز في المصطلح اللّساني، دار هومة، الجزائر،ص:143.

[2] عزوز، أحمد، (2014م)، المدارس اللّسانية، دار التنوير، الجزائر، ط:1، ص:119.

[3] المتوكل، أحمد،(2005م)، التركيبات الوظيفية : قضايا ومقاربات، مكتبة دار الأمان، المغرب، ط:1، ص:23.

[4] تمام، حسان عمر،(2006م)، اللّغة العربية معناها ومبناها ، عالم الكتب، ط:5، ص: 182.

المنارة للاستشارات

5 السعران، محمود،(1997م)، علم اللّغة مقدمة للقارئ العربي، دار الفكر العربي، مصر، ط:2، ص: 253.

6 ابن خلدون، عبد الرحمن،(2004م)، المقدمة، دار الفكر، لبنان، ط:1، ص:621.

7 ينظر: المتوكل، أحمد،(2016م)، المنهج الوظيفي في البحث اللّساني، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط:1.ص:445.

8 سورة الأحقاف: الآية [15].

9 متولي، أحمد مصطفى،(2005م)،الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن الكريم والسنّة النّبوية، دار ابن الجوزي، مصر،ط:1، ص:690.

10 الخالدي، صلاح عبد الفتاح،(2013م)، لطائف قرآنية، دار القلم، سوريا، ط:5 ، ص: 84.

11 الأصفهاني، الراغب،(2011م)، مفردات ألفاظ القرآن، دار القلم، سوريا، ط:5، ص:707.

12 المرجع نفسه، ص: 707.

13 [آل عمران: 83]، [النساء: 19]، [التوبة: 53]، [الرعد: 15]، [فصلت: 11].

14 سورة آل عمران، الآية: [83].

15 الخالدي، صلاح عبد الفتاح ، لطائف قرآنية،(مرجع سابق)، ص: 84.

16 المطعني، عبد العظيم، (2014م)، دراسات جديدة في إعجاز القرآن، مكتبة وهبة، مصر، ص: 83.

17 مارتني، أندريه،(دت)، مبادئ في اللّسانيات العامة، دار الآفاق، الجزائر، ص:59.

18 سورة الكهف:الآية:[97].

19 الخالدي، صلاح عبد الفتاح، لطائف قرآنية، مرجع سابق،ص: 56.

20 المرجع السابق، ص:56.

21 سورة الكهف، الآية :[78].

22 سورة الكهف، الآية:[82].

23 ابن عاشور، مُحَمَّد الطاهر،(1984م)، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس ج:16، ص:38

24 السلطاني، زينب عبد الحميد،(2016م)، البحث الدلالي عند المفسرين، الدار المنهجية، الأردن، ط:1، ص: 75

المنارة للاستشارات

[25] سورة الصافات، الآية:[25].

[26] العمادى، أبو السعود مُحَمَّد بن مُحَمَّد،(دت)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي، لبنان،ج:7،ص: 188.

[27] ينظر: السلطاني، زينب عبد الحميد، البحث الدلالي عند المفسرين، مرجع سابق، ص: 80-81.

[28] سورة نوح، الآية:[12].

[29] الرماني، النكت في إعجاز القرآن ،(دت)، بيان إعجاز القرآن، دار المعارف، مصر، ط:3، ص:99.

[30] ياسوف، أحمد ،(1994م)، جماليات المفردة القرآنية في كتب الإعجاز والتفسير، دار المكتبي، سوريا، ط:1، ص: 323.

[31] ينظر: علوش، حميدة،(2002م)، العناصر اللّغوية المتشابهة في القصص القرآني(مذكرة ماجستير)، قسم اللّغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللّغات، جامعة الجزائر، ص: 38- 45.

[32] ينظر: المرجع السابق، ص: 43-45.

[33] الشعراء: [181-182].

[34] عتر، نور الدين،(1993م)، علوم القرآن الكريم، مطبعة الصباح، دمشق، سوريا، ط:1،ص:225.

[35] المرجع نفسه، ص: 227.

[36] قطب، سيّد،(1988م)، التصوير الفنّي في القرآن، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط:10، ص:37.

[37] المبارك، مُحَمَّد،(1998م)، دراسات أدبية لنصوص من القرآن، دار الفكر، لبنان، ط:5، ص:35.

[38] سورة فاطر، الآية:[36-37].

[39] قطب، سيّد، التصوير الفنّي في القرآن، مرجع سابق، ص:92-93.

[40] عتر، نور الدين، علوم القرآن الكريم، مرجع سابق، ص: 210.

[41] الزركشي، بدر الدين،(1957م)، البرهان في علوم القرآن، دار المعرفة، لبنان، ط:1،ج:1،ص:381

[42] سورة الأعراف، الآية:[56].

[43] ابن البناء، أحمد، (1990م)، عنوان الدليل من مرسوم خط التّنزيل، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط:1، ص: 109-110.

[44] ابن البناء أحمد، عنوان الدليل من مرسوم خط التّنزيل، ص: 115-116.

المنارة للاستشارات

45 سورة الفاتحة، الآية:[5].

46 الفراء، يحي بن زياد ،(1435هـ)، كتاب فيه لغات القرآن،نسخه وضبطه: جابر بن عبد الله السريع، الشبكة العالمية، ص:6.

47 سورة الفتح، الآية:[10].

48 ينظر: السامرائي،(2006م)، فاضل صالح، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، شركة العاتك لصناعة الكتاب، مصر ، ط:2، ص: 102

49 السامرائي، فاضل صالح، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني،مرجع سابق، ص: 103.

50 الزرقاني، مُحَمَّد عبد العظيم،(دت)، مناهل العرفان في علوم القرآن،مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط:3، ج:1،ص:24.

51 الماوردي، أبو الحسن علي،(دت)، النكت والعيون، دار الكتب العلمية،لبنان، ج:1، ص:64-65.

52 ينظر:الدباغ، مصطفى،(1982م) وجوه من الإعجاز القرآني، مكتبة المنار، الأردن، ط:1، ص:55.

53 ينظر:الدباغ، مصطفى،وجوه من الإعجاز القرآني ، ص: 56.

54 المرجع نفسه، ص:115.

55 متولي، أحمد مصطفى، الموسوعة الذهبية، مرجع سابق،ص: 523.

56الخطابي، أبو سليمان حمد، (دت)، بيان إعجاز القرآن، دار المعارف مصر، ط:3، ص:70.

57الخطابي، بيان إعجاز القرآن، ص:70-71.

58سورة الزمر، الآية: [23].

59 ينظر: متولي، أحمد مصطفى، الموسوعة الذهبية، مرجع سابق، ص: 525-526.

60 ينظر: المرجع السابق، ص: 526.

61 سورة الإسراء، الآية:[82].

62 سورة الرعد، الآية:[28].

63 ينظر: ابن قيّم، الجوزية ،(1999م)، الوابل الصيب من الكلم الطيّب، دار الحديث، مصر، ط:3، ص:41-82.

المنارة للاستشارات

المراجع:

– الأصفهاني، الراغب،(2011م)، مفردات ألفاظ القرآن، دار القلم، سوريا، ط:5.

– ابن البناء، أحمد، (1990م)، عنوان الدليل من مرسوم خط التّنزيل، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط:1.

– ابن خلدون، عبد الرحمن،(2004م)، المقدمة، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط:1.

– ابن عاشور، مُحَمَّد الطاهر،(1984م)، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس.

– ابن قيّم، الجوزية،(1999م)، الوابل الصيب من الكلم الطيّب، دار الحديث، مصر، ط:3،

– تمام، حسان عمر،(2006م)، اللّغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، ط:5.

– الخالدي، صلاح عبد الفتاح،(2013م)، لطائف قرآنية، دار القلم، سوريا، ط:5.

– الخطابي، أبو سليمان حمد،(1976م)، بيان إعجاز القرآن، دار المعارف، مصر، ط:3.

– الدباغ، مصطفى، وجوه من الإعجاز القرآني، مكتبة المنار، الأردن، ط:1، 1982.

– الرماني، أبو الحسن علي،(دت)، النكت في إعجاز القرآن، دار المعارف، مصر، ط:3.

– الزرقاني مُحَمَّد عبد العظيم،(دت)، مناهل العرفان في علوم القرآن،مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط:3.

– الزركشي، بدر الدين،(1957م)، البرهان في علوم القرآن، دار المعرفة، لبنان، ط:1.

– السامرائي، فاضل صالح، (2006م)، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، شركة العاتك ، مصر، ط:2.

– السعران، محمود، (1997م)، علم اللّغة " مقدمة القارئ العربي، ، دار الفكر العربي، مصر، ط:2.

– السلطاني،زينب عبد الحميد،(2016م)، البحث الدلالي عند المفسرين، الدار المنهجية، الأردن، ط:1.

– العمادى، أبو السعود مُحَمَّد بن مُحَمَّد،(دت)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي،لبنان.

المنارة للاستشارات

- عتر، نور الدين،(1993م)، علوم القرآن الكريم، مطبعة الصباح، سوريا، ط:1.
- عزوز، أحمد، (2014م)، المدارس اللّسانية، دار التنوير، الجزائر، ط:1.
- علوش، حميدة، (2002م)، العناصر اللّغوية المتشابهة في القصص القرآني(مذكرة ماجستير)،كلية الآداب واللّغات، قسم اللّغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر.
- الفراء، يحي بن زياد ، (1435هـ)،كتاب فيه لغات القرآن، ضبطه وصحّحه: جابر بن عبد الله السريع،الشبكة العالمية.
- قطب، سيّد،(1988م)، التصوير الفنّي في القرآن، دار الشروق، مصر، ط:10.
- مارتني، أندريه،(دت)،مبادئ في اللّسانيات العامة، دار الآفاق، الجزائر.
- الماوردي، علي بن مُحَمَّد،(دت)، النكت والعيون، دار الكتب العلمية، لبنان.
- المبارك، مُحَمَّد،(1998م)، دراسات أدبية لنصوص من القرآن، دار الفكر، لبنان، ط:5.
- المتوكل، أحمد،(2005م)، التركيبات الوظيفية : قضايا ومقاربات، مكتبة دار الأمان، المغرب، ط:1.
- المتوكل، أحمد،(2016م)، المنهج الوظيفي في البحث اللّساني، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط:1.
- متولي، أحمد مصطفى، (2005م)، الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن الكريم والسنّة النّبوية، دار ابن الجوزي، مصر،ط:1.
- مرتاض، عبد الجليل،(2017م)، القاموس الوجيز في المصطلح اللّساني، دار هومة، الجزائر.
- المطعني، عبد العظيم، (2014م)، دراسات جديدة في إعجاز القرآن، مكتبة وهبة، مصر.
- ياسوف، أحمد،(1994م)، جماليات المفردة القرآنية في كتب الإعجاز والتفسير، دار المكتبي، سوريا، ط:1.

المنارة للاستشارات

ww